الفصل السابع

تشريح خطيب

لم نجد خلال القرن العشرين أية حياة سياسية كانت مرتبطة تمامًا بالحديث المؤثر مثل حياة أدولف هتلر. لقد عملت من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٤٨ بمكتب الحكومة العسكرية فى فيرتمبرج/بادن بألمانيا الغربية. لقد تعرضت لأكثر من ثلاث سنوات لآثار النتائج المخيفة لديكتاتورية هتلر.

وانهمكت بشدة فى إزالة الآثار الباقية من المنظمة النازية. كنت أجلس لمدة يومين فى الأسبوع كقاضٍ فى قاعة المحكمة أنظر فى القضايا المتهم فيها ألمان. كان كثير من تلك القضايا مبنى على الأفعال التى أتى بها المتهمون لتأييد أهداف هتلر. ويوم آخر فى الأسبوع، كنت أحضر فيه مجلس تصفية النازية الذى قرر مصادرة ممتلكات أعضاء الحزب النازى السابقين. وحضرت محاكمات جرائم الحرب فى نورمبرج وشاهدت جورنج – هيس ومساعدى هتلر المقربين الآخرين. بصفتى الرسمية اطلعت على مئات من الكتب التى تتناول نظام هتلر، تحدثت مع كثير من المسئولين الحكوميين والشخصيات الألمانية البارزة الذين غاصوا بى فى أعماق شخصية هتلر.

إن مقدرة هتلر على الحديث المقنع كانت هى مفتاح نجاحه. بفضل مهارته الملحوظة فى التأثير على الجماهير إستطاع أن يسيطر على الشعب الألمانى، وأن يطمح إلى أن يسود العالم. كيف فعل هتلر هذا؟ ما هى الأساليب الفنية للحديث التى استخدمها فى صعوده من سياسى مغمور إلى زعيم عالمى فى خمسة عشر عامًا قصيرة؟ لكى نجد الإجابة، دعنا نفحص أنشطة هتلر الخطابية، سوف نبدأ بأن نقرر ما إذا كان الزعيم النازى قد امتلك ضرورات الحديث المؤثر.

المعرفة

أثناء العام الذى قضاه فى سجن لاندسبرج، ألف هتلر كتاب «كفاحى» كبرنامج عمل لمعتقداته وطموحاته. عكس هذا الكتاب المعرفة التى كان على هتلر أن

يستخدمها فى أحاديثه السياسية. كان يحيا ويتنفس الصورة التى رسمها لألمانيا جديدة فى مخيلته، وعندما كان يتكلم عن هذا الموضوع فإنه بالتأكيد كانت لديه المعرفة اللازمة.

الإخلاص

كان لإخلاص هتلر الأثر العميق على جماهيره فى بداية حياته السياسية كان الناس يأتون لكى يضايقونه بالإكثار من الأسئلة والتحديات، لكنهم كانوا يبقون ليستمعوا إليه وهم يهتزون طربًا بسبب إخلاص هتلر. فى مناسبات عدة، ثبت للناس عن طريق التجربة أن حياتهم تتغير بعد مشاهدتهم وسماعهم هتلر للمرة الأولى. كان إخلاصه عاملا أوليًا فى دفع الناس إلى تبنى مثل تلك الطريقة الجديدة للحياة. وقد أدّى حماسه المتقد وإخلاصه فى تلقين تعاليم النازية إلى إعجاب الجماهير التى تعبده إلى درجة من الألوهية.

الحماس

امتلك هتلر حماسًا وفيرًا، وكان يتوق للبحث عن الفرصة لكى يحاضر عن موضوعه المفضل عندما يتحدث كان يكهرب جماهيره فيصبحون جزءًا لا يتجزأ من إلقائه المفعم بالحيوية والنشاط. صوته، إيماءاته، تعبيراته، كل شىء يتصل بأسلوبه الملىء بالقوة زاد من قوة تأثير كلماته. نتيجة لحماس هتلر، أصبح مستمعوه متحمسين. أثناء خطاب إثر خطاب، كان معجبوه يصيحون بصوت أجش. كان نداؤهم نداء النصر «هايل» سمة حاضرة دائمًا تعبر عن جماهيره المثارة والمتجاوبة.

الممارسة

كان هتلر يمارس. وهو شاب صغير. كان يترك عمله إذا لاحت فرصة لمخاطبة جمع من الأشخاص، وحيث إنه كان سياسيا ناشئًا فى ميونخ، كان يتحدث فى الشوارع فى قاعات تناول البيرة أو فى أى موقع آخر يمكنه أن يجند فيه اتباعًا لقضيته. كشخصية وطنية كان يخاطب كثيرًا الشعب الألمانى، وكتهديد عالمى استمر فى إلقاء الأحاديث.

طوال حياته العملية مارس الحديث المؤثر. مما لا شك فيه أن هتلر امتلك المعرفة – الإخلاص – الحماس – والممارسة. كان يمتلك الضرورات التى ضمنت له الحديث المؤثر والآن دعنا نلقى نظرة على الجوانب الأخرى لأسلوبه فى الحديث والتى أضافت الكثير إلى قوة تأثيره.

الإعداد

فى بداية حياة هتلر العملية كمتحدث، كان يشك فى قدرته على الحديث المؤثر. وعليه، بدأ فى تحسين نفسه. حضر هتلر الاجتماعات العامة ودرس الطريقة التى تدار بها. لاحظ الأساليب الفنية وقام بتقدير قوة تأثير المتحدثين، وتعلم الكثير عما يجب عليه أن يفعله وما يجب عليه الا يفعله.

لقد أعدّ هتلر أحاديثه إعدادًا جيدًا. إذا كان هناك مغزى خاص للمناسبة فإنه ينشغل بمحتوى الحديث، يعد ملخصًا لحديثه ويستخدمه كمرشد ومرجع أثناء الحديث الفعلى.

كان هتلر يتمرن على إلقاء أحاديثه ويقيس ذلك بالساعات ولم تكن الكلمات هى شغله الشاغل الوحيد، كان يركز على مظهره وحركاته الجسدية. ومن المعتقد أنه كان يتدرب ويحفظ حديثه أمام المرآة لكى يحقق الأثر المرجو.

تنظيم الحديث

كقاعدة عامة، كان هتلر يبدأ أحاديثه بهدوء. بعد أن يتبين الحالة المزاجية للجمهور يتبع أسلوب الحديث المناسب لتحقيق هدفه من الحديث. بمبات يصبح إلقاؤه أكثر إثارة وعاطفية كلما تقدم فى الحديث، وينتهى بعرض متبادل لحماس غير محدود من جانب المتحدث والجمهور.

علم النفس

عندما كان هتلر يتحدث إلى المجموعات الصغيرة من الناس فى ميونخ، كان

يضفى حيوية على اجتماعاته. كان الجو السائد اجتماعيًا حيث تُقدم البيرة والوجبات الخفيفة مع مصاحبة الموسيقى، ثم فى اللحظة المناسبة تمامًا يظهر هتلر ويبدأ فى طلب التأييد. فيما بعد عندما بدأ يسافر من مكان، كان يطلب الحصول على معلومات تتصل بالجمهور الذى سوف يواجهه.. تأسيسًا على تركيبة الجمهور. فإنه يستخرج من حقيبته أسطوانة مسجلا عليها موسيقى مناسبة، تدار تلك الاسطوانة لتخلق الاستهلال المناسب للرسالة الملهمة «للفوهرر».

الوضوح

كان هتلر يعانى لكى يقدم موضوعاته بوضوح. كان يفهمه الرجل العادى من بين أفراد الجمهور. كان يمكن سماعه فى الأركان القصية من القاعة مثلما يسمع من جانب هؤلاء الجالسين فى الصفوف الأمامية بالنسبة للحديث الذى يتضمن عدة نقاط فإنه يتوقف بعد كل نقطة ليسأل عما إذا كان المعنى واضحًا.

اتصال العيون

كانت عينا هتلر زرقاوين صافيتين واستخدمها بطريقة جيدة. توجد كثير من التقارير المدونة عن العاطفة المفعمة التى كان يشعر بها الأشخاص عندما تلتقى عيونهم بعينى هتلر. لقد ذكر الكثيرون أن تلك المقابلة البصرية القصيرة كان لها أثر عميق على حياتهم. كان مستمعو هتلر يرون الأمانة والإخلاص فى عينيه. بالطبع ساهمت تلك الهيئة بقدر كبير فى نجاحه الملحوظ كمتحدث.

الثقة بالنفس فى مواجهة الجمهور

فى المحادثات الخاصة لم يكن هتلر يترك دائمًا انطباعًا عظيمًا. على أية حال، عندما كان يقف أمام جمهور تصبح قوة الاتصال لديه مؤثرة.. كان يعتبر مثالا متفوقًا للحقيقة التى تقول بأن كثيرًا من الأشخاص يكونون أكثر تأثيرًا وهم يواجهون جماعة عنهم عندما يتعاملون مع الأفراد. كان هتلر يبدو أمام الجمهور متحمسًا، نسيطًا، مليئًا

بالقوة. أما فى الأحاديث العادية فكان هادئًا بشكل عام. لقد كان هتلر يستمد قوة من الجمهور، فكلما كان الجمهور كبيرًا مليئًا بالحيوية كان أداء هتلر أفضل.

ادفع الجمهور إلى المشاركة:

فى منظمة الحزب الاشتراكى الوطنى (النازى)، كان يوجد شىء ما لكل شخص. بالنسبة للأطفال يوجد «شباب هتلر» وللمراهقين توجد «الخدمة العامة». بالنسبة للرجال والنساء على قدم المساواة، توجد عشرات الجمعيات. وحتى بالنسبة للأكبر سنًا، كانوا يجدون الخدمة التى يؤدونها. وهو يتحدث إلى الجماهير، كان هتلر يدعوهم إلى المشاركة، كان الناس يوافقون على تلك الحركة ويتطابقون معها. كان الناس يأتون للاستماع إلى هتلر كأفراد، وعندما ينتهى من حديثه كانت تسود روح الوحدة والزمالة.

التغذية الاسترجاعية من الجمهور

لاحظ هتلر جمهوره بعناية وهو يتحدث. إذا توقف ولم يسمع صوتًا، إذا سأل سؤالاً وتلقى إجابة فورية، إذا تفحص تعبيرات وجوه مستمعيه ووجد مواتهة شعر بالرضا وتحمس لبذل مزيد من الجهد. كان لهذه العلاقة الوثيقة مع جمهوره أثر كبير على سلوك هتلر. فى مواجهة الجمهور كان أكثر ثقة بالنفس، أكثر عدوانية وأكثر عاطفية منه عندما يمارس أنشطته اليومية.

مقام الصوت والنبرة

حشد هتلر سلسلة كاملة من العواطف فى حديث واحد. عرض الكرة - الخوف - الغضب - الحب - التوسل - السخط - الفكاهة - الرثاء. عندما كان يعرض كل عاطفة من تلك العواطف عكس صوته وتعبيرات وجهه وحركات جسمه العاطفة بالضبط. لقد جعل هذا التنوع فى مقام الصوت والنبرة من أحاديث هتلر أحاديث مؤثرة.

حضور الشخصية

تقطن أديث هيرمان فى مونترات بجزر الهند الغربية حيث تحدثت إليها عن هتلر. لقد سمعت هتلر وهو يتحدث فى ستاد تمبلهوف عام ١٩٣٤. لم تكن ترغب فى الاستفادة من هتلر، ولكنها حضرت لتسمع وترى الرجل الذى تكرهه. كانت تجلس بعيدًا عن منصة المتحدث أثناء إلقاء هتلر لحديثه، إلا أنه «كما قالت مسز هرمان» على الرغم من عدائى وعلى الرغم من المسافة التى تفصلنا فقد فتنى هتلر «نتيجة لمهارته التى تعتبر من الطراز الأول كمتحدث، اكتسب هتلر حضورًا كان أكثر ما يكون وضوحًا عندما يعتلى منصة الحديث. أصبحت صفة الحضور تلك عالية عن طريق الاستخدام المستنبط للموسيقى - الأعلام - الرايات - الملابس الرسمية - والإضاءة المبهرة. على سبيل المثال، عندما تحدث هتلر فى تمبلهوف أمام مائة ألف متفرج، كان كل فرد فيهم يجلس فى الظلام. الأضواء الوحيدة كانت تلك التى تنير الشخصية الوحيدة لهتلر وهو يلقى حديثه.

الإيماءات

استخدم هتلر جسمه ليزيد من أثر كلماته. لقد تذوق قيمة الإيماءات وعمل على تحسين تنفيذها. كان استخدامه لحركات الجسم استخدامًا مسرحيًّا تقريبًا، نتيجة تخطيطه وتدريبه على إيماءات معينة ليستخدمها لإحراز استجابة معينة من جانب الجمهور. عندما يطبق قبضته أو يشير بأصبع الإبهام أو يرفع ذراعه ببطء أو يدق على المنصة، فليس هناك جدال فى أن الإيماءة تضيف إلى قوة تأثيره.

التكرار

توجد قاعدة فى الدعاية تقول بأنه إذا كررت أكذوبة مرارًا فسوف يتقبلها الجميع كحقيقة مؤكدة. عمل جوزيف جوبلز وزير الدعاية عن قرب مع هتلر لإعداد أحاديثه مستخدمًا أسلوب التكرار فى أغلب الأحيان. لقد جعل هتلر من التكرار عملاً

مسرحيًّا عن طريق استخدامه بطريقة متناغمة فى مجتمع تصبح فيه الشعارات فى متناول كل يد. إن استخدام هتلر للتكرار زود جماهيره بالكلمات المرشدة والجمل القابلة للتذكر.

الملاحظات

استخدم هتلر الملاحظات لعمل ملخص لأحاديثه. كان يرجع إلى ملخصه ليستخرج الكلمة المرشدة التالية، ثم يرتجل وهو يطور الفكرة التى تقترحها الكلمة أو الجملة. كانت أحاديثه مبنية بناء سليمًا وبطريقة منطقية وكان يلقيها وهو ملتزم بملخصه المعد. من الطريف أن تلاحظ أن هتلر استخدم النظارات عندما كان بعيدًا عن أعين الجماهير. على أية حال، لم تظهر له أى صورة وهو يرتدى النظارة ولم يرتدها أثناء حديثه للجماهير، وهذا يعنى أن ملاحظاته كانت مكتوبة بالخط العريض لكى يتمكن من رؤيتها بدون مساعدة النظارة.

ملخص

يمكن النظر إلى حياة هتلر العملية كمتحدث على أساس أنها اتبعت النموذج العادى. لم يكن واثقًا من نفسه فى البداية، ولكنه تطور إلى أن أصبح متحدثًا بارزًا عن طريق تطبيق الأساليب الفنية الصحيحة. لقد زود نفسه بثروة من المعرفة وآمن من كل قلبه بموضوعه وكان تواقًا إلى الحديث عنه، وتحدث كثيرًا جدًّا بقدر ما يستطيع طوال حياته العملية كلها.

لقد كانت حياة هتلر العملية كمتحدث، حياة غير عادية أيضًا. كان لديه الباعث العظيم، وكان قادرًا إلى أقصى الحدود. ويعتبر صعوده إلى مرتبة الظهور الدولى متصلاً بطريق مباشرة بقدرته على الحديث المؤثر.

قبل أن نختم فصلنا هذا عن هتلر، نود أن نوضح نقطة واحدة، نحن نرى أن أفكار هتلر وسياساته كانت سريرة، وأدّت فى النهاية إلى دماره الشخصى، ولم تكن مناقشتنا منصبة على المأساة التى جلبها على العالم، لكن هدفنا الوحيد كان تقديم تقييم لمقدرة هتلر على الحديث المؤثر.